المصدر: القدس العربي
التاريخ : ٩ ابريل ٢٠٠٣

ليلة سقوط الحكام العلوج «العرب سابقاً»

خالد الشامي *

■ وباتت بغداد ليلتها الأولى في حضن الغزاة، مغتصبة تقاوم لا مستسلمة، واغمض الحكام العرب جفونهم على عارهم، بعد ان فتحوا الابواب على مصاريعها لينتهك «المتعررون» عاصمة الشرف العربي، عاصمة الشعر، عاصمة الرشيد والمنصور، عاصمة الحضارة العربية والانسانية.

بغداد لم تسقط، وان احتلوها، بل انتم من سقط وان بقيتم الى حين على عروشكم المتهالكة، سقطتم في عيون شعوبكم، والتاريخ الذي لن يرحمكم، ولن يخشى اجهزتكم السرية، وانظمتكم المتواطئة، ولو بالصمت، في هذا العدوان.

سقطتم عندما داس المارينز باحذيتهم الثقيلة رقاب الاطفال والنساء ليصلوا الى قلب بغداد، قلب العروبة، وعندما دنسوا تراب كربلاء الشهداء والنجف الأشرف.

سقطتم بكل المقاييس، وليس بالعواطف والمشاعر فقط.

وهل سيجرؤ زعيم عربي واحد على ان يرفع رأسه في وجه رامسفيلد، او فرانكس، جنرال البر والبحر، ناهيك عن بوش «ديكتاتور العالم الجديد او الوحيد»؟

هل بقيت كرامة او سيادة لأي قصر جمهوري او ملكي عربي بعد ان اقتحم المارينز القصر الجمهوري في بغداد؟

هل سيبقى العراق بلدا عربيا اسلاميا كما عرفناه ام انه سيتحول الى «كيان دولي» تحكمه ادارة ظاهرها الامم المتحدة، وباطنها عملاء امريكيون واسرائيليون وان حمل بعضهم جنسية عراقية؟

هل يمكن ان تعترف الجامعة العربية، او الشارع العربي بحكومة احتلال في العراق، ام ستضطر الى تجميد عضويته حتى يتحرر من العدوان؟

والا يكفي ما فعلته الكويت وقطر من مشاركة فاعلة في العدوان على العراق لتبرير تجميد عضويتهما في الجامعة العربية، ام انه حان الوقت لتجميد الجامعة العربية نفسها بعد ان تحولت الى «مؤسسة للتواطؤ والنفاق العربي»؟

هل سيحتمل النظام العربي القواعد الجديدة للعبة والتي تجعل من قطر والكويت والبحرين «دولا عظمى» في المنطقة بعد ان تحولت في زمن الصغار الى رأس جسر ونقطة انطلاق للعدوان ضد العراق، وأي بلد عربي آخر لا ترضى عنه ادارة بوش؟

هل يمكن ان يستعيد النظام العربي الرسمي مصداقيته في المستقبل المنظور، وهل سيعطيه السيد الامريكي مخرجاً من ورطته بعد انفضاح كذبه وضعفه وعجزه الشامل امام الشارع العربي؟

ألم يكن العرب اكثر قوة وكرامة عندما كانوا يواجهون الاستعمار البريطاني والفرنسي في القرن التاسع عشر بأسلحة بدائية ولكن بايمان حقيقي بمصير مشترك؟ وهل سيكتفي المستعمر الامريكي ببلد واحد ام انه سيسعى الى «امبراطورية شرق أوسطية» عاصمتها ومركزها اسرائيل (من النيل الى الفرات).

لماذا لم يستدع حاكم عربي واحد السفير الامريكي ليحتج على قصف البيوت والمستشفيات وحتى المساجد والأضرحة في العراق؟ ناهيك عن قطع العلاقات مع المعتدين؟

لعل الشعوب العربية ستفكر مليا الآن ان كان الزعماء العرب معنيين حقا بالدفاع عن امنها واستقلالها ام انهم مجرد مجموعة من «العلوج» ايا كان تفسير هذه الكلمة سواء حيوانات ضالة في الصحراء، او اناس لا يفكرون سوى في ملذاتهم الشخصية، او انصاف رجال؟

رسالة شخصية: الى الطفل العراقي علي اسماعيل (12 عاما) الذي فقد والده ووالدته واخاه وذراعيه بقنبلة عنقودية بينما كان يلعب داخل بيته: رأينا وجهك البريء وعينيك المختقنتين بالاسئلة: ماذا بقي لك من هذا العالم سوانا نحن عارك الأبدي؟

الى عائلات الشهداء من الصحافيين في بغداد: لقد ارادوا اسكات اصواتهم، ليبقى كذبهم وحده يغسل عقول الأمة، ولكنهم فشلوا، فقد خلدوا اسماءهم واصواتهم في ضمائرنا الى الأبد.

---

* كاتب وصحافي من اسرة «القدس العربي»

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية